الرسالة

(أعمال الرسل ٢٠: ١٦–١٨، ٢٨–٣٦)

في تلك الأيام ارتأى بولسُ أن يتجاوزَ أفسس في البحر لئلاّ يعرض له أن يُبطئ في آسية، لأنه كان يعجلُ حتى يكون في أورشليمَ يومَ العنصرة إن أمكنه* فمن ميليتُسَ بعَث إلى أفسسَ فاستدعى قُسوسَ الكنيسة* فلمّا وصلوا إليه قال لهم* احذروا لأنفُسكم ولجميعِ الرعية التي أقامَكم الروحُ القدس فيها أساقفةً لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمِه* فإني أعلم هذا أنّه سيدخل بينكم بعد ذهابي ذئابٌ خاطِفة لا تُشفق على الرعية* ومنكم أنفُسِكم سيقوم رجالٌ يتكلّمون بأمورٍ ملتوية ليجتذبوا التلاميذَ وراءهم* لذلك اسهروا متذكّرين أنّي مدّة ثلاث سنِيَن لم أكفُف ليلاً نهاراً أن أنْصحَ كلَّ واحدٍ بدموعٍ* والآن أستودعكم يا إخوتي الله وكلمة نعمتِه القادرة أن تبنيَكم وتمنحكم ميراثاً مع جميع القدّيسين* إني لم أشتهِ فِضّةَ أو ذهبَ أو

الإيمان الحقيقي

تعيّد كنيستنا المقدَّسة في الأحد الذي يقع بعد الصعود الإلهي، لآباء المجمع المسكوني الأول المنعقد في نيقية سنة ٣٢٥. انعقد هذا المجمع بدعوة من الإمبراطور قسطنطين الملك بعد أن انتشرت التعاليم الخاطئة في أرجاء الإمبراطورية الرومانيَّة، ما سبب بلبلةً في إيمان الكنيسة وانحراف البعض عن الإيمان القويم.

العدد ٢٠ / ٢٠١٨

الأحد ٢٠ أيار

أحد آباء المجمع المسكوني الأوّل

تذكار الشهيد ثلالاّوس

اللحن السادس

إنجيل السَحَر العاشر

ترتّل الكنيسة في هذا العيد الطروبارية التالية: «أنت أيها المسيح إلهنا الفائق التسبيح، يا من أسسَت آباءنا القديسين على الأرض كواكب لامعة، وبهم هديتنا جميعاً إلى الإيمان الحقيقي يا جزيل الرحمة المجد لك». فما هو الإيمان الحقيقي؟

يأتي الجواب على لسان الرب نفسه في صلاته الكهنوتيَّة، في المقطع الإنجيلي الذي نقرأه (يو ١٧: ١–١٣). الإيمان الحقيقي هو «أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته» (يو١٧: ٣). ليس الإيمان مجرد كلمة نلفظها للدلالة على أننا نعبد الله، ولا أن نولد في عائلةٍ متديّنة تؤمن بوجود الله، وليس مجرد ذكر للديانة وللطائفة في بياناتنا الشخصيَّة، بل هو حياة، هو تلك الخبرة الشخصيَّة التي يعيشها الإنسان مع الله، والتي تظهر في كل أفعاله وتصرفاته. يفرض الإيمان تسليم الحياة تسليماً كاملاً في يد الله والثقة به، بل الطاعة لمشيئته كما فعل إبراهيم الذي «لما دعي أطاع» (عب١١: ٨)، بمعنى آخر أن يضع الإنسان نفسه أمانة بيد الله، أن يأتمن اللهَ على نفسه ويشاركه في نعمته. هذه النعمة تُقدَّم للإنسان منذ الولادة من خلال المعموديّة، الميرون والمناولة المقدّسة. من هنا قول القديس يوحنا الذهبي الفم بأنَّ الإيمان عطية من الله يزرعها في داخلنا، فتكون نقطة الإنطلاق للنمو الروحي.

يشدد الإنجيلي يوحنا في رسالته الأولى على أن معرفة الله تكمن في حفظ الوصايا، وكل من لا يحفظها لا يمكنه أن يدَّعي أنه يعرف الله. حفظ الوصايا يكون في عيشها على الدوام وهذا لا يمكن إن لم يُطعها

الإنسان. يعرِّف الرسول بولس الإيمان في رسالته إلى العبرانيين بأنَّه «الثقة بما يُرجى والايقان بأمور لا ترى» (عب١١: ١). هذا ما نقوله في نهاية دستور الإيمان: «وأترجى قيامة الموتى والحياة في الدهر الآتي». نحن المؤمنين نرجو أن ننال الحياة الأبديَّة وأن نكون مخلَّصين في يوم القيامة، لكن رجاءنا هذا مبني على ثقتنا ويقيننا الكامل بأنَّ تلك هي حقيقة وليست وهماً.

الإيمان الحقيقي هو إيمانٌ حيٌّ وليس إيماناً جامداً، يعمل على صعيدين: شخصي من خلال جهاد الإنسان للنمو في الإيمان، وعام من خلال تجسيد هذا الإيمان مع الناس الآخرين. فأعمال الإنسان تكتسب معناها بالإيمان بالله، والإيمان بالله يكتمل بالأعمال. فصل الأعمال عن الإيمان ليس مقبولاً في الكنيسة الأرثوذكسية كما هي الحال لدى بعض الجماعات. لا الإيمان بدون الأعمال ولا الأعمال بدون الإيمان تجعل الإنسان مستحقاً أمام الله. تظهر قوة الإيمان الحقيقي عندما يقترن بالأعمال الصالحة الموازية له، والتي هي ضرورية للخلاص مثله. بهذا الصدد يقول الرسول يعقوب للذين يدّعون أنهم مؤمنون: «ما المنفعة يا إخوتي إن قال أحد إن له إيماناً ولكن ليس له أعمال، هل يقدر الإيمان أن يخلّصه...، أنت تؤمن أن اللّه واحد حسناً تفعل، والشياطين يؤمنون ويقشعرون ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بدون أعمال ميت. ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال إذ قدم اسحق ابنه، ترون إذاً أنه بالأعمال يتبرر الإنسان لا بالإيمان وحده» (يع٢: ١٤ ـ ٢٤).

يشرح القدّيس مرقس الناسك قول الرسول بولس بأنَّ الله سيعطي كل واحد منا حسب أعماله، لا يعني أن الأعمال تستحقّ جهنّم أو الملكوت وإنما أعمال عدم الإيمان أو أعمال الإيمان. أعمال الإيمان هذه هي أعمال المحبَّة لذلك يجاهر الرسول بولس بالقول: «لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الإيمان العامل بالمحبة» (غل٥: ٦). غياب المحبة يجعل الإيمان ميتاً، فيكون مثل النقود المزوَّرة التي تبدو حقيقيَّة لكنَّها في الواقع بلا قيمة. يقول بولس الرسول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: «إذا كان لي الإيمان لأنقل الجبال وليست لي المحبّة فلست بشيء» (١كو١٣: ٢)، فالمحبة هي القوّة المحيية التي تغذّي الإيمان، وأما أعمال الخطيئة فيمكن أن تطفئ الإيمان، وبقدر ما تكون أعمال المحبّة قويّة بهذا المقدار يصبح إيماننا حصيناً. من هنا يتكلّم بولس الرسول على «الإيمان العامل بالمحبة».

لقد كابد الآباء القديسون الذين أتوا من كنائس العالم ليشهدوا للمسيح الحيّ والغالب على الدوام، الذين تعيّد لهم الكنيسة في هذا الأحد، إضطهادات جمَّة وقاسية لم تثنهم يوماً عن نكران إيمانهم الحقيقي. علامات الاضطهادات التي أوقفها القديس الملك قسطنطين الكبير في مرسوم ميلانو عام ٣١٣ كانت ظاهرة جليًّا على أجسادهم؛ فأعضاؤهم المشوّهة أو المبتورة، وآثار الجروح والضرب والجلدات شهدت أن الإيمان الحيّ الذي دوّنوه في نيقية كان محفوظًا في قلوبهم

لباسَ أحدٍ* وأنتم تعلمون أنّ حاجاتي وحاجات الذين معي خَدَمتْها هاتانِ اليدان* في كلّ شيءٍ بيّنتُ لكم أنّه هكذا ينبغي أن نتعبَ لنساعد الضعفاء وأن نتذكّر كلامَ الربّ يسوع. فإنّه قال إنّ العطاءَ هو مغبوطٌ أكثر من الأخذ* ولمّا قال هذا جثا على ركبتيه مع جميعهم وصلّى.

الإنجيل

(يوحنا ١٧: ١–١٣)

في ذلك الزمان رفع يسوعُ عينيهِ إلى السّماء وقال يا أبتِ قد أتتِ الساعةُ. مجّدِ ابنك ليمجّدك ابنُك أيضًا* كما أعطيتَهُ سلطانًا على كلّ بشرٍ ليُعطيَ كلَّ من أعطيتَهُ له حياةً أبديّة* وهذه هي الحياةُ الأبديّةُ أن يعرفوك أنتَ الإلهَ الحقيقيّ والذي أرسلتَهُ يسوعَ المسيح* أنا قد مجّدتُك على الأرض. قد أتممتُ العملَ الذي أعطيتَني لأعملَهُ* والآن مجّدني أنت يا أبتِ عندك بالمجدِ الذي كان لي عندَك من قبلِ كونِ العالَم* قد أعلنتُ اسمَك للناسِ الذين أعطيتَهم لي من العالَم. هم كانوا لك وأنت أعطيتَهم لي وقد حفِظوا كلامك* والآن قد علِموا أنّ كلّ ما أعطيتَهُ لي هو منك* لأنّ الكلامَ الذي

أعطيتَهُ لي أعطيتُهُ لهم. وهم قبلوا وعلموا حقّاً أنّي منكَ خـــرجتُ وآمـــنـــوا أنّــك أرسلـتـنـي* أنـا مـن أجـلـهم أســأل. لا أســألُ مـن أجـلِ الـعـالم بـل مِنْ أجل الذيـن أعطيتَهم لي. لأنّهم لك* كلُّ شيءٍ لي هو لك وكلُّ شيءٍ لكَ هـو لي وأنـا قد مُـجّدتُ فـيـهـم* ولستُ أنـا بـعدُ في العالم وهؤلاء هم في العالم. وأنـا آتـي إلـيك. أيّـهـا الآبُ القدّوس احـفَـظـهـم بـاسمِك الـذيـن أعـطيتَهم لي ليكونوا واحدًا كما نحن* حين كنتُ مــعــهــم في الــعــالم كـنت أحـفـظُـهـم بـاسمك. إنّ الذين أعطيتَهم لي قد حفِظتُهم ولم يــهـلِـك مـنـهـم أحدٌ إلّا ابـنُ الـهلاكِ لـيـتـمّ الـكـتابُ* أمّا الآن فـإنّـي آتـي إليك. وأنـا أتكلّمُ بهذا في العالمِ ليكونَ فرحي كاملاً فيهم.

تأمل

الاتحاد بالله هو الحالة الطبيعية للروح وهو السبب الذي لأجلـه خُلق الإنسان. الإنـســان أبـــعد نــفـســه بالخطيئة عن هذا النوع من الحياة، لذا عليه أن يجاهد ليبلغه من جديد. كل ما نفعله هو محاولة للعودة إلى حالتنا الأولى السليمة.

حين يجعل ملكوتُ الله مـقـامـه في قـلب أحدهـم، وعقولهم، ومكتوبًا على صدورهم، وفي صبر أجسادهم.

من هنا تأتي دعوة الكنيسة لنا جميعاً، في هذه الأيام القاسية والقاحلة التي نعيشها، أن نشدِّد إيمـاننا وأن نضع كل رجائنا بالرب يسوع المسيح الذي غلب الموت بموته، متمثلين بالآباء القديسين، لنكون شهوداً أمناء للنور الأزلي الذي «ينير ويقدِّس العالم» فنعكسه في الآخرين مبشرين بكلمة الحق، ونكون ذلك الصوت الصارخ في صحراء هذه الأيام منادين بالمحبة الحقيقيَّة التي تسمو على كل شيء.

سبت الأموات

تخصّص ليتورجيا الكنيسة المقدسة الأرثوذكسية كل يوم سبت لتذكار الراقدين على رجاء القيامة والحياة الأبدية. وقد خصصت الكنيسة أيضاً يومي سبت نصلّي فيهما لجميع أمواتنا من «آدم حتى اليوم»، الذين نعرفهم والذين لا نعرفهم، الذين لهم مَن يذكرهم والذين ليس لهم مَن يذكرهم، وكل الذين نسينا أسماءهم. السبت الأول هو قبل أحد الدينونة، قبل الصوم الكبير، حيث نصلّي في بداية الرحلة المؤدية إلى القيامة، كي يُسكن عبيده الراقدين مع خراف اليمين. السبت الثاني هو قبل أحد العنصرة، وهذا العام يقع في ٢٦ أيار الجاري، ذلك لإرتباط تذكّر الراقدين بمفهوم الكنيسة الجامعة. في العنصرة نحتفل بتأسيس الكنيسة، والكنيسة مؤلفة من الأحياء والراقدين، لأن إلهنا ليس إله أموات بل إله أحياء، والراقدون هم أحياء بربنا يسوع المسيح. تريدنا الكنيسة ألاّ ننسى أمواتنا وأن نذكرهم في صلواتنا كوننا معهم كنيسةً واحدةً وجسداً واحداً. نذكر أحباءنا الراقدين، الذين نعرفهم والذين لا نعرفهم، ونضعهم بين يدي الله الذي يعرف اسم كل واحد منا، لكي يبقى ذكرهم مؤبـداً عند الله.

عندما نرتّل «فليكن ذكره مؤبّدًا» في نهاية خدمة الدّفن أو صلاة النياحة (الجنّاز)، غالبًا ما نظنّ عن سوء فهم، أنّ المقصود من هذه العبارة أن يبقى ذكر المؤمن المتوفَّى والراقد بالرّبّ مؤبَّدًا في ذاكرة محبّيه وذاكرة الناس على الأرض إلى أجيال لاحقة. إنّ هذه الترنيمة، بالحقيقة، ليست موجّهة إلى أحبّاء الراقد، أو حتّى إلى الراقد نفسه، وليس هدفها أرضيًّا فانيًا، إنّما هي صلاة موجّهة إلى الله السرمديّ، نيابةً عن الراقد، لكي يبقى هذا الراقد نفسُه في ذاكرة الله إلى الأبد.

عندما قال التلاميذ للرّبّ بفرح: «يا ربّ حتّى الشياطين تخضع لنا باسمك». قال لهم: «...لا تفرحوا بهذا أنّ الأرواح تخضع لكم بل افرحوا بالحريّ أنّ أسماءكم كُتبت في السموات» (لو ١٠: ١٧–٢٠). بكلام آخر، قال المسيح لتلاميذه ألاّ يفرحوا هنا على الأرض بشيء لا يؤدي إلى خلاصهم، بل أن يفرحوا بحقيقة أنّ أسماءهم سوف تُذكر إلى الأبد في ملكوت السموات، أي أنّ أسماءهم قد كُتبت في ما يُعرف في الكتاب المقدّس بـ«سفر الحياة» (رؤ ٢٠: ١٢). لعلّ أفضل مَثَل كتابيّ يُعبِّر عن هذا الأمر هو مَثَل الغنيّ ولعازر (لو ١٦: ١٩–٣١). المسكين لعازر، بعد موته، «حملته الملائكة

إلى حضن إبراهيم» في ملكوت الله، بينما دُفن الغنيّ ومضى إلى الجحيم، ولم يعُد اسمه يُذكر.

توازي عبارة «فليكن ذكره مؤبّدًا» القول «فلتكن في ذاكرة الله إلى الأبد». تصلّي الكنيسة لكي «يبقى» هذا الراقد ثابتًا في ذاكرة الله. لأنّه إذا «نَسِيَنا» الله (مجازيًا)، أي إذا قال لنا: «إني لم أعرفكم قطّ» (مت ٧: ٢٣)، فنحن نتّجه نحو الإقصاء (Extinction) الروحيّ. لكن، إذا ذَكَرَنا الله، فسوف نكون مثل لص اليمين على الصليب الذي قال ليسوع: «أذكرني يا ربّ متى جئت في ملكوتك. فقال له يسوع الحقّ أقول لك إنّك اليوم تكون معي في الفردوس» (لو ٢٣: ٤٢-٤٣). أن يذكرنا الله دائماً يعني أن نحيا معه إلى الأبد.

إنّ الخليقة، بحسب الآباء القدّيسين، تحيا وتوجد روحيًّا بمقدار ما تشترك بالنِّعَم المؤلِّهة. نحن نستمدّ وجودنا الروحيّ وإمكانيّة تقدُّمنا روحيًّا من هذه النِّعَم والعطايا غير المخلوقة. تستمدّ الخليقة وجودها من نعمة الله غير المخلوقة المحيية والمؤلِّهة. يقول القدّيس باسيليوس الكبير: «هناك فقط أمران موجودان: الألوهة والخليقة، القوّة المقدِّسة والمقدَّسون».

إنّ خلود النفس بعد الموت هو أمر طبيعيّ، النفس البشرية خالدة، أما الجسد ففان، تاليًا فإنّ مكان وجود النفس الأبَديّ يحدّده مدى اشتراك الإنسان خلال حياته في نِعَم الله غير المخلوقة والمُحيية والمؤلِّهة، وإلاّ يكون نصيبها «الموت»، أي تكون في الجحيم التي هي «مكان الموتى»، بدل أن تكون مرتاحة مع القدّيسين: «مع القدّيسين أرِح يا ربّ نفوس عبيدك حيث لا وجعَ ولا حزنَ ولا تنهّد بل حياة لا تفنى» (من خدمة الدفن/القنداق). العلاقة مع الله، والإشتراك في قوى نِعَمِه المؤلِّهة هما ما يعطي معنًى لجوهر الإنسان. علاقة الإنسان مع الله هي التي تُجَوْهِر طبيعته، فيصبح الإنسان شخصًا مؤلَّهاً بالحقيقة.

يرى كثيرون أنّ خلاص النفس هو فقط بألاّ تتعذّب أبديًا. إلاّ أنّ الخلاص هو في هذه العلاقة، هذه المحبّة، هذا الإشتراك في النِّعَم غير المخلوقة. النفس، لأنّها خالدة بالطبيعة بسبب نعمة الله، وليست خالدة بسبب ذاتها أو من ذاتها، فإن وجودها متأتٍّ من الله، وكلما جاهد الإنسان ليكون على صورة الله ترتقي نفسه للإتحاد بالله. هذه الهويّة، كما ذكرنا، تُعطى من الله في علاقة حرّة أقدم عليها الإنسان وأنشأها خلال حياته ضمن الكنيسة ومن خلال أسرارها. لذا، إن لم نُنشئ هذه العلاقة الإلهيّة خلال حياتنا، سوف نُحرم من أن نكون في ذاكرة الله ونقع في «إنّي لا أعرفكم»، أي سنصل إلى «الموت الروحيّ».

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

أو

www.quartos.org.lb

يكشف له اللهُ أسراراً كثيرة. وبمعونة الله سيصبح هذا الشخص قادراً على رؤية جوهر الأشياء وفهم أسرارها.

كل المعرفة كامنة في الله. وحين يسمح، بمقتضى رحمته، يكشف هذه الأسرار لذهن أحدهم. وقد تُمنح حتى لراهبٍ بسيط وغير متعلِّم، برحمة الله، عطيةُ معرفة الأسرار العظيمة، أسرارِ الحياة والموت والفردوس والجحيم، وأن يُصبح عالماً بأمور هذا العالم.

حين يدخل ملكوتُ الله إلى قلب إنسان يكون ذلك كما لو أن الله قد أزاح عن ذهنه قناع الجهل. عندها يفهم ذلك الإنسان ليس فقط سرَّ المادة المخلوقة بل سرّ كيانه الشخصي أيضاً. أخيراً وفي لحظة واحدة مقدسة، سيكشف الله له ذاته، في رحمته اللامتناهية. ولسوف يعاين ملك المجد تماماً كما يعاين انعكاس الشمس في المياه. في مثل هذه اللحظات يكون الله والإنسان واحداً وروحُ الله يعمل فيه. مثل هذا الإنسان لا يعيش في العالم إلا بجسده بينما تسكن روحه في ملكوت الله مع الملائكة والقديسين، معاينةً الله.

الشيخ تداوس الصربي